سراج الدرب

سلوك المسلم الداعية

إنها وظيفتنا جميعاً

الأصل أن يكون المسلم داعياً إلى الله على كل حال وفي كل مجال، الطبيب والطالب والتاجر والموظف، وإظهار المسلم للسلوك الإسلامي بتصرفاته في كل مهنة نوع من الدعوة إلى الله، وكذلك إتقان العمل وبذل النصيحة، فالإسلام يهيمن على الحياة كلها ووظيفة المسلم فيه هي الدعوة إلى الله.

أنت منهم...

وقد يقول البعض: إنها ليست وظيفتي إنها وظيفة الأئمة والخطباء، ليس الأمر كذلك ؛ لأن الإسلام هو دين الله الذي ارتضاه للجميع، فأصبحت الدعوة إلى الله وظيفة كل مسلم يدين بالإسلام.

دعوة.. ودعوة

بعض الأفراد سيشتري بضاعة جيدة ورخيصة الثمن فيدعو

الأهل والأصحاب إلى شرائها قبل انتهاء فترة الخصم، والبعض يدخل السينما ليشاهد فيلماً فيخرج يحكيه لمن يعرفهم ويشعرهم أنه سيفوتهم نصف عمرهم إن لم يشاهدوه، ويرى مباراة لكرة القدم فيحدثهم عن مستواها وخسارة من لم يشاهدها منهم .. وبهذا يضيع العمر كله هدراً في فيلم ومباراة.

فأين الداعي إلى الله الذي لا يعتزّ بشيء أكثر من دينه؟ أين كلمته التي ترشد الناس إلى الخير وإلى طاعة ربهم ؟ هل الباطل أهم عند أصحابه من إسلام الرجل المسلم؟ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[1].

مهمة النبي

يقول ربنا تبارك وتعالى في سورة فصلت: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[2]، فأفضل الكلام على الإطلاق هو كلام الدعوة إلى الله. ويقول في سورة النساء : ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[3] فالدعوة إلى الله بالصدقة

(1) سورة: البقرة، الآية: 165.
(2) سورة: فصلت، الآية: 33.
(3) سورة: النساء، الآية: 114.

وإشاعة المعروف بين الناس تجعل للكلام خيراً وثقلاً في الميزان وبركة على صاحبها، ولا خير فيما سوى ذلك.

وقد لا يعلم الإنسان ما الذي يصلح شأنه ومعاشه، ويحسن خاتمته، ويأمن به الخوف يوم القيامة، فنجد ربنا تبارك وتعالى يرشد المسلم إليها بالأمر فقال: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾[1].

وأنت تابعٌ له

وقد خاطب ربنا تبارك وتعالى النبي ﷺ والأمة من بعده فقال: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾[2]، وأنت وأنا وهو وهي تابعون للنبي ﷺ، والمطلوب هو ترجمة هذا الاتباع.

فإذا رأيت من لا يصلي حدِّثه عن الصلاة، وإذا رأيت فتاة غير محجبة ـ زميلة في العمل أو ذات قرابة ـ أعطها شريطاً عن الحجاب واطلب منها سماعه، وحدِّث الناس في الخير ما دامت هناك فرصة.

ولا تقف الدعوة إلى الله على الكلمة ونصح اللسان، وإنما تكون بالفعل والعمل وبذل المعروف والابتسامة والكلمة

(1) سورة: النحل، الآية: 125.
(2) سورة: يوسف، الآية: 108.

الطيبة وحب الخير للناس، والسعي لقضاء حوائجهم، وانظر هذه الكلمات التي يترقرق منها الحب والشفقة والرفق ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1].

وقد يسأل البعض: وماذا أفعل لأكون داعياً الى الله؟ الأمر سهل يسير، فإذا كنت مع البعض في مجلس ونادى المؤذن للصلاة فادعهم اليها، لأن اهمال الفرض بداية طرق الذنب، ستعم المجلس الغيبة والنميمة وتصبح أذنك سلة لأسوأ ما عندهم من كلام محرم.. وعلمهم أن التسلية لا تكون باعراض الناس وانتهاك حرماتهم، فارح نفسك من هذا كله، وقم الى الصلاة، وادعهم اليها لتسلم من آفات المجالس.

ارفع للخير راية

وفي صحيح مسلم يقول النبي ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فمن لم يستطع فبلسانه، فمن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»[2]، فإذا رأى المسلم منكراً لا يعطيه

(1) سورة: الأحقاف، الآية: 31.

(2) أخرجه مسلم في (الحديث: 175)، وأخرجه أبو داود في (الحديث: 4340)، وأخرجه الترمذي في (الحديث: 2172)، وأخرجه النسائي في (الحديث: 5023)، وأخرجه ابن ماجه في (الحديث: 4013)، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 3/ 20).

ظهره منتظراً غيره ليصلحه، وإنما له معه ثلاث خصال: إما التغيير باليد وهذا لن يستطيعه بشرط ألا يتسبب في منكر أشد منه، وإما بلسانه ببذل النصح وإظهار الحق والترغيب فيما عند الله.. إن غيرك من الناس لا يستحون من كلمة الباطل، فمنهم من يقول: يا عزيزي كلنا لصوص، ومنهم من يقول: خذ الفلوس واجري!

فلماذا يستحي المسلم من كلمة الحق وأهل الباطل يعلنونه صراحة ويدعون اليه الآخرين؟. فارفع أيها المسلم راية للخير وسيراها الناس وينحازون اليها بفطرتهم: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾[1].

أعرض عنهم

وإذا لم يستطع المسلم الإنكار باليد أو باللسان فبالقلب، يتبرأ منه ولا يجالس أصحابه. والقاعدة تقول: إذا لم تُزِلْ المنكر فزُلْ عنه.

والإنكار القلبي معناه أن المسلم وقتما يستطيع أن يغيره بلسانه أو بيده فيغيره ما دام كارهاً له بقلبه، وإلا فليس بعد ذلك مثقال حبة من خردل من إيمان.

---

(1) سورة: البقرة، الآية: 138.

سلوك المسلم الملتزم داعياً إلى الله

(1) الإخلاص

وهو طلب العمل ابتغاء وجه الله تعالى طمعاً في الثواب منه وحده، وعكسه الرياء وهو الدعوة إلى الله لكي يتحدث عنه بأنه داعية إلى الله، وهذا ضياع للأجر والعمل فلا يقبل عند الله ولا عند الناس.

من الفسيخ شربات!

إن الذي يؤدي عمله بإخلاص وإتقان يجعله مقبولاً عند الناس ولو كان تافهاً، كاللاعب المحترف الذي يظل يلعب ويلعب سنوات طويلة ويتحدث الناس عن احترافه، مع أن غاية عمله لعب بالكرة، والغاية من خلق الإنسان هي طاعة الله ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1] ولم يقل: يلعبون !!

اين انت؟

فإذا كان اللاعب يتعرض للإصابات من أجل اللعب ويتحمل ذلك، والممثل يمارس الزنى بالعين واللمس، كما قال النبي ﷺ: **«اليدان تزني وزناهما اللمس، والأذنان تزني وزناهما السمع»**[2]. والممثل يؤدي كل ذلك بإخلاص كما يطلبه الدور، ومثل هذا يقال عنه: عنده عطاء للجماهير.

وأنت أيها المسلم الطائع لله.. أين عطاءك للمسلمين ؟

---

(1) سورة: الذاريات، الآية: 56.

(2) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 2/ 344)، و(الحديث: 2/ 372).

أين صناعتك للحياة الكريمة ؟ فما دمت مسلماً كريماً تقول الإسلام ديني، فبلِّغه للناس.

حسبنا الله ونعم الوكيل

تظهر أحياناً على الشاشة امرأة تسمى فنانة، تحكي للناس تاريخها المجيد في خدمة الفن ورسالته، وكيف حققت من الجوائز كذا وكذا، وكيف كرّموها في مهرجان كذا.. تُسلط عليها الكاميرات؛ لأنها أدّت باطلها بإخلاص ولها معجبون !!

لذلك أخي المسلم الإخلاص في الحق أولى لتفوز بالعمل وفوقه محبة الله ﷻ، فالعمل طاعة والإخلاص فيه طاعة، وعندما يكون العمل دعوة إلى الله، فالكلام فيه أحسن الكلام والسعي فيه أفضل السعي، وسيتحدث الناس عن الداعي بالضرورة إن كان خطيباً في مسجد أو داعياً في عمل، وسيمتثل الناس مبادئه وأخلاقه.

قف عند همك

قال رسول الله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**»[1]، فالداعي يسأل نفسه عن كل

(1) أخرجه البخاري في (الحديث: 1)، وأخرجه مسلم في (الحديث: 4904)، وأخرجه أبو داود في (الحديث: 2201)، وأخرجه الترمذي في (الحديث: 1647)، وأخرجه النسائي في (الحديث: 75)، و(الحديث: 3803)، وأخرجه ابن ماجه في (الحديث: 4227)، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 1/ 25).

عمل وقول: ماذا أردت بهذا العمل؟ هل هو وجه الله أم غير ذلك؟ وذلك ليطهّر نيته باستمرار، لأن قبول العمل مشروط بالإخلاص فيه. وفي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: **«إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم»**[1].

يقول ربنا تبارك وتعالى في أول سورة الزمر: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ * إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾[2]. وفي سورة الإنسان: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾[3].

إن الإخلاص في العمل يرضي صاحبه بالأجر أولاً؛ لأن الذي يجزيه الجزاء الأوفى هو الله ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ * لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى * ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ * وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى * ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ * وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ * إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ * وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾[4]، سوف يرضيه ربه بشروط الإخلاص، وإلا أغلقت أمامه أبواب القبول.

(2) مظهر الداعية

إن الداعي إلى الله محطّ أنظار الناس عند السماع منه،

---

(1) تقدم تخريجه سابقاً.

(2) سورة: الزمر، الآيتان: 1، 2.

(3) سورة: الإنسان، الآيتان: 9، 10.

(4) سورة: الليل، الآيات: 14 ـ 21.

وهذا النظر يترك في النفس انطباعاً عن المتكلم، ولهذا الانطباع دور في قبول الكلام أو رده.. وكيف يكون داعياً من يخاطب الناس وهو ثائر الرأس، رث الثياب، غير مهتم بنظافته الشخصية؟! إنه يتسبب في صد الناس عنه وعن كلامه، وسينتقدونه أمامه أو من ورائه.

إن الإسلام يأمر بحسن المظهر، وترتيب الهندام وترجيل الشعر واستعمال السواك فقال ﷺ: «**إن الله جميل يحب الجمال**»[1]. وبذلك لا ينشغل الناس بنقد مظهر الداعي عن السماع منه.

تلك زينتك

يقول ربنا ﷻ في سورة الأعراف إشارة إلى المظهر: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ * يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾[2]. وفي نفس السورة يقول رب العزة: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا

(1) أخرجه مسلم في (الحديث: 261)، وأخرجه الترمذي في (الحديث: 1999)، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 4/ 133)، وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (الحديث: 1/ 26).

(2) سورة: الأعراف، الآيتان: 26، 27.

﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[1]، والأمر بأخذ الزينة يعني: ستر العورة وارتداء الثياب النظيفة المنسقة الألوان وإن كانت بسيطة.. تلك زينة المسلم التي أمره الله أن يأخذها عند الوقوف بين يديه.

ليس كثيراً

الاهتمام بنظافة الثياب ليس من الكبر في شيء وعندما قال النبي ﷺ فيما يرويه عنه مسلم: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر**»[2]، قال رجل: يا رسول الله، إني أحب أن يكون ثوبي نظيفاً ونعلي نظيفاً. فقال ﷺ: «**إن الله جميل يحب الجمال، ولكن الكِبر: بطر الحق وغمط الناس**»[3]. فالكبر هو التكبر على الحق بعدم الرجوع إليه وظلم الناس.

(3) العلم

ولا يشترط أن يكون المسلم علاّمة ووحيد عصره.. يكفيه أن يكون حافظاً بعض أجزاء من كتاب الله، فغيرنا حافظ للمسرحيات والمسلسلات والأفلام والأغاني وأسماء لاعبي الكرة بالاحتياطي والأهداف التي سُجلت في الستينات. واعلم

---

(1) سورة: الأعراف، الآية: 31.

(2) أخرجه مسلم في (الحديث: 262)، وأخرجه أبو داود في (الحديث: 4091)، وأخرجه الترمذي في (الحديث: 1998)، وأخرجه ابن ماجه في (الحديث: 59).

(3) تقدم تخريجه سابقاً.

أنه أولى له أن يكون حافظاً آيات من كتاب الله يبلّغ بها عن ربه وأن يكون حافظاً لأحاديث مما ورد عن النبي ﷺ.

لو حفظ المسلم حديثاً كل يوم لأصبحت حصيلته آخر العام 365 حديثاً، فإذا مرّ عليه عامان أو ثلاثة أصبح حظّه من العلم لا بأس به.

والداعي يلم بسيرة النبي عليه الصلاة والسلام بصورة مجملة، ويلمّ ببعض مسائل الفقه، ويحفظ بعض القواعد الفقهية الميسَّرة مثل: «**لا ضرر ولا ضرار**»[1]، «**درء المفسدة مقدم على جلب المنفعة**»، قاعدة تأخير البيان. وهكذا.

وقاية من المشكلات

إن فهم الداعي لهذه القواعد يقيه الصدام مع الناس وكسب عداوتهم. يقول النبي ﷺ للسيدة عائشة: «**لولا أن قومك حديثو عهد بالجاهلية لهدمت البيت وأقمته على قواعد إبراهيم..**»[2] هي قاعدة تأخير البيان، لأن الوقت قد لا يسمح بالشرح والتفصيل، فلا يتعجل الداعي العلاج على شيء قد يضر التعامل معه في هذا الوقت.

---

(1) أخرجه ابن ماجه في (الحديث: 2340)، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 1/ 313)، وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (الحديث: 2/ 58)، وأخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (الحديث: 6/ 69).

(2) أخرجه مسلم في (الحديث: 3227).

فالداعي تهمه دعوته ونجاحها هي لا نجاحه هو، يهمه اسلامه واحترام الناس له وقبولهم لتعاليمه.. ولذلك هو يفكر متى يتحدث ومتى ينصت، متى يفتي ومتى يعالج، انه تاجر مع الله يتحرى عرض بضاعته بإحسان.

دين العلم

يقول ربنا ﷻ في سورة الرحمن: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ * عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾[1]، قال: علّم ولم يقل: حفظ. لأن هناك كثيرون يحفظون لكنهم لا يعملون به. وفي سورة القلم: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾[2] فقد أقسم الله بالقلم وما يسطره القلم. وقال في سورة فاطر: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[3]، فهم أكثر الناس خشية ومعرفة لله وقال تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾[4].

فإسلامنا هو دين العلم.. العلم التجريبي لعمارة الأرض، والعلم الشرعي الذي يضبط علاقة الإنسان بالدنيا والأرض والكون فيحقق لصاحبه الدنيا والآخرة، وأمرنا ربنا أن نقول: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾[5].

---

(1) سورة: الرحمن، الآيتان: 1، 2.
(2) سورة: القلم، الآية: 1.
(3) سورة: فاطر، الآية: 28.
(4) سورة: المجادلة، الآية: 11.
(5) سورة: طه، الآية: 114.

قمرنا على الباب!

يقول الداعية الأول ﷺ: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»[1]، ولا يصح أن يكون كل المسلمين علماء دين ويخلو منهم الطبيب والمهندس والمتخصص في علم الذرة. فطلب العلم فريضة أي عبادة تغطي حاجة المسلمين في كل مجال. وبعض العلماء يقول أنه يجب على كل دولة مسلمة صناعة القنبلة الذرية لأن العدوّ يملكها، واستطاع غزو الفضاء وصعود القمر. وبعضنا هنا يغني للقمر الذي يقف على بابنا ولم نحتج لنصعد إليه نحن، بل نزل هو إلينا إجلالاً واحتراماً...!!.

(4) استغلال الفرص والمناسبات

المسلم الداعي لا يترك موقفاً إلا ويستغله لصالح الدعوة إلى الإسلام.. فإذا كنت على سفر مع جمع من الناس استغل الموقف بذكر دعاء السفر ويردده من معك. وإن طرح عليك أحد الناس سؤالاً فاجعله مدخلاً إلى دعوتك، وإن كان سؤالاً تافهاً فخذه أنت ووسِّع من دائرة السؤال بسعة الإجابة. فقد قيل لرسول الله ﷺ: إنا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء، أفنتوضأ بماء البحر يا رسول الله؟ قال ﷺ: «**نعم هو**

(1) أخرجه ابن ماجه في (الحديث: 224)، وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (الحديث: 10/ 240).

الطهور ماؤه الحل ميتته»[1] مع أنهم لم يسألوه عن السمك.

يجب أن يشعر الناس أن المسلم الداعي مصدر عطاء وأن رؤيته مفيدة، وسيتعلمون منه الجديد كلما رأوه، ولا يستحي أحد من الناس أن يسأله؛ لأنه لا يسفِّه أحداً ولا يحتقر سؤالاً وقد يفتعل الناس الأسئلة ليستفيدوا من علمه.

يلد.. أم يبيض..؟!

وهناك الكثير من الأسئلة التافهة التي يجب أن يتَّسع لها صدر الداعي.. فقد يسأل سائل عن نوع النملة التي كلمت سيدنا سليمان: هل هي ذكر أم أنثى ؟! ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ﴾[2]. قل له: هذا سؤال طيب، ويجب أن نعرف أن هذه النملة قالت بعد ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[2]، لندرك أنها كانت خائفة على بني جنسها من الانشغال بمظهر ملك سليمان عن ذكر الله ﷻ.. ومن هنا نوجد حواراً ذا فائدة من مثل هذا السؤال.

---

(1) أخرجه أبو داود في (الحديث: 83)، وأخرجه الترمذي في (الحديث: 69)، وأخرجه النسائي في (الحديث: 59)، و(الحديث: 331)، و(الحديث: 4361)، وأخرجه ابن ماجه في (الحديث: 386)، و(الحديث: 3246)، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 2/ 237)، وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (الحديث: 1/ 141).

(2) سورة: النمل، الآية: 18.

قد يأتيك رجل يقول لك: أريد أن أسالك سؤالاً لا أعرف النوم بسببه من كثرة التفكير فيه وهو: هل الشيطان يلد أم يبيض ؟! قل له: يا أخي أعزك الله القضية مع الشيطان أن نعاديه ونبتعد عنه لأنه يريد هلاكنا.. وهكذا.

لكل مقام مقال

إذا كان المسلم الداعي في موقف موت وتأثر الناس به فذكّرهم بهذه اللحظة التي سيراها كل الأحياء ومدى ضعف الإنسان عن ردّها.

وإذا كنت في فرح ذكّرهم بفرحة دخول الجنة والفوز بالنجاة يوم القيامة، وأن هذا هو الفرح الكبير.. وإذا التف الأصدقاء حول العريس، قل لهم: أسأل الله أن تزفنا الملائكة مع النبي ﷺ ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾[1].

مطابقة كلام الداعي لحال كلامه تدعو إلى التأثر وحسن الاستماع، والتذكير الدائم بنعم الله والترغيب فيما عنده يرقق القلوب فيزيد إحساسها بهذه النعم ﴿فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2].

خُذ ما يخصك

وإذا جمعك موقف بمن يشاهد مباراة لكرة القدم وسجد أحد الهدّافين، فخذ أنت هذه اللفتة وقل لهم: هذا يسمى

(1) سورة: الزمر، الآية: 73.

(2) سورة: الأعراف، الآية: 69.

سجود شكر لله ﷻ، وليست الكرة هدفاً أو غاية في ذاتها وليست ديناً ندين به، وإنما هي وسيلة من وسائل ممارسة الرياضة.. وعلّمهم الفرق بين الغاية والوسيلة.. وما هي غاية المسلم في حياته.. ولماذا خلقنا الله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

الكريم ابن الكرام

قال سيدنا يوسف عليه السلام وهو في السجن لمن معه: ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ﴾[2] لقد جذب انتباههم بهذا الخبر: أستطيع أن أخبركم بنوع الطعام قبل مجيئه، ثم رد العلم لصاحبه بأن الله هو الذي علمه هذا.. ثم دعاهم إلى الله قائلاً: ﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾[3].

هكذا المسلم لا يفقد رشده في أي مكان ولا يطلب راحة أو إجازة من الدعوة إلى الله في أي وقت. ومع أن سيدنا يوسف عليه السلام علم أن أحدهما سيقتل بعد قليل ومع ذلك عرض عليهما الإسلام منتهزاً فرصة سؤالهما له، بعد أن توسّما فيه

(1) سورة: الذاريات، الآية: 56.
(2) سورة: يوسف، الآية: 37.
(3) سورة: يوسف، الآيتان: 39، 40.

الخير: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1] يحسن إليهما وإلى السجّان. وهذه هي سمة الداعي إلى الله.

التربية بالمواقف

بعد أن رُجم ماعز، قال أحد أصحابه لآخر: أرأيت هذا الذي لم تدعه نفسه حتى رُجم رَجم الكلب...!! فسمعها النبي عليه الصلاة والسلام ومضى في طريقه وفي عودته وجد جيفة منتنة لحمار ميت، فقال: «**أين فلان وفلان**»، فجاءا فقال لهما: «**انزلا فكلا من هذه...**»!! فقالا: يرحمك الله يا رسول الله.. أوَ من هذا يؤكل..؟ ! فقال لهما: «**ما نلتما من أخيكما أشد من أكل هذه**»[2].

إن انشغال القلب بهمّ الإسلام يجعل المسلم الداعي مبدعاً في استخدام المواقف لصالح الإسلام، ويكسبه فطنة التعامل مع هذه المواقف بتوفيق من الله ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[3].

لا يساوي شيئاً

ورد في صحيح مسلم أن النبي ﷺ مرّ على جدي صغير ميت، فأخذ بأذنه وقال: «**أيكم يحب أن يكون هذا له؟** »

(1) سورة: يوسف، الآية: 36.

(2) أخرجه أبو داود في (الحديث: 4428)، وأخرجه الدار قطني في «سننه» (الحديث: 3/ 197).

(3) سورة: العنكبوت، الآية: 69.

قالوا: لا يا رسول الله، ما نحب أن يكون هذا لنا بشيء. قال: «**أيحب أحدكم أن يكون هذا له بدرهم** ؟» قالوا: يا رسول الله: لو كان حياً لكان عيباً فكيف وهو ميت ؟ قال: «**فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم**»[1]. ومثل هذه المواقف لا تمر على الداعي المسلم من غير وقفة تأمل ونضج وتربية.

(5) الأدب

المسلم الداعي مؤدب في دعوته حتى مع الخصوم، الداعي يحترم الكبير ويفاديه بما يليق به، ويُنزل الناس منازلهم، فإذا سمعه الكبير قَبِل منه؛ لأنه وجد منه الأدب والاحترام. قد يكون له عادات وتقاليد تعوّد عليها من قبل ميلاد الداعي. وتغيير مثل هذه العادات ـ إن كانت مخالفة للشرع ـ يحتاج إلى صبر وحسن تصرف ومعهما الأدب في توجيه النصح.

اطرق قلبه بالدعاء

وعندما تتحدث مع أحد عن خطأ يقع فيه، قل له: اسمع

(1) أخرجه مسلم في (الحديث: 7344)، وأخرجه أبو داود في (الحديث: 186)، وأخرجه الترمذي في (الحديث: 2321)، وأخرجه ابن ماجه في (الحديث: 4111)، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 1/ 329).

يا أخي أعزك الله، انظر يا أخي أسأل الله أن يشرح صدرك للخير. فإذا كان يدخن السجائر مثلاً فقل له إذا دعاك إليها: أسأل الله أن يقلعك عنها ويتم عليك نعمة الصحة والعافية.

هذه الكلمات ترقق القلب لتسمع الأذن، وتبعث في النفس شعوراً بالارتياح إليك؛ لأنه لمس منك الخوف عليه والشفقة على صحته.

ان الدعاء للمسلم قبل دعوته أمر اسلامي حثنا عليه القرآن فعلّمنا أن نقول: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾[1]، لأن القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء ودعاؤك له استمداد من رب القدرة ومانح نعمة الهداية.

ادب نبوة

سيدنا إبراهيم عليه السلام كان أبوه مشركاً كافراً وفي كلامه معه يقول: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا * يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا * يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا * يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾[2].

(1) سورة: الأعراف، الآية: 89.

(2) سورة: مريم، الآيات: 42 ـ 45.

لم يقل سيدنا إبراهيم لأبيه: يا جاهل، يا جهول، يا مجهال، يا جهّال، يا جهل! لم يقل له شيئاً من هذا، بل لاطفه في الحوار وذكّره بعاطفة الأبوّة والبنوّة، وذكر له من أسماء الله (الرحمٰن) لا الجبار المنتقم مثلاً. وكرر نداءه بمعنى الأبوّة تأكيداً لحرصه عليه وخوفه عليه من مس النار، إنه الأدب العالي للنبوة.

إنهما منهم

سيدنا يوسف عليه السلام وهو في السجن نراه يقول لصاحبيه: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾[1]، فمن هؤلاء القوم؟ إنهم قوم هذين الصاحبين. فلم يقل لهما: تركت ملة قومكما الكفار الكفرة!. وإنما قال: ﴿مِلَّةَ قَوْمٍ﴾ أدباً في الحوار معهما، وفتحاً لطريق تواصل الدعوة بينه وبينهما وتأليفاً لقلوبهما.

مثل خالد

في سورة إبراهيم ضرب الله مثلاً للكلمة الطيبة فهي كالصدقة الجارية التي لا ينتهي نفعها: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾[2]، والفعل:

(1) سورة: يوسف، الآية: 37.

(2) سورة: إبراهيم، الآيتان: 24، 25.

«**تؤتي**» يفيد التجدد والاستمرار، فالنفع واقع لا محالة وإن غاب عنا بعض الوقت، لأن الذي أذن بخروجه هو رب العزة سبحانه.. فهل تشك في هذا ؟!

تعظيمهم لمنازلهم

رسول الله ﷺ يرسل الخطابات للحكام والملوك يخاطبهم فيها بألقابهم: «**قيصر الروم**» لحاكم الرومان، و«**النجاشي**» لحاكم الحبشة، و«**كسرى عظيم الفرس**» لحاكم الفرس، و«**المقوقس عظيم القبط**».. فهذه ألقابهم التي كانوا ينادون بها، والنبي لم يبخسهم ألقابهم بل علّمنا أن نعطي الناس ألقابهم وعلمهم أن إسلامنا يحترم الناس، ويحث أتباعه على الأدب حتى مع المخالفين.

لك هذا ولكن..

عندما آمن السحرة بسيدنا موسى عليه السلام وسجدوا لله خاضعين، هدّدهم فرعون وبالغ في تهديدهم قائلاً: ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾[1]، فقالوا له: ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾[2] لم يقولوا له: إنك لا تملك ذلك ولم يسبوه. بل أخبروه أنه يستطيع ويقدر ولكن في الدنيا فقط، وهي لا تساوي عند الله جناح بعوضة: كما قال رسول الله ﷺ فيما يرويه الترمذي:

(1) سورة: طه، الآية: 71.

(2) سورة: طه، الآية: 72.

«لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء»[1].

فالأدب في الدعوة أدب في اللفظ وفي الحوار وفي التعامل، وفي احترام الكبير والشفقة على الصغير ومخاطبة الناس بألقابهم ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾[2].

(6) الرفق واللين

إن الرفق واللين ثمرة لفهم قضية الدعوة إلى الله، فتعرف أنه لا مجال للعنف أو للشك ولا ثمرة من ورائهما. والله يقول: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾[3] ويقول: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[4].

هل أنا وأنت أفضل من النبي ﷺ الذي ما جهل على إنسان وقد كفر كثير من الناس به فقال رب العزة له: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾[5].

ليست قضيتي

إن مثل الداعي كمثل الفلاح الذي يضع البذور أما الزارع الحقيقي والذي ينبتها هو الله، وعندما حَزِنَ النبي ﷺ خوفاً

(1) أخرجه الترمذي في (الحديث: 2320).
(2) سورة: الأعراف، الآية: 85.
(3) سورة: الغاشية، الآيتان: 21، 22.
(4) سورة: الرعد، الآية: 7.
(5) سورة: البقرة، الآية: 272.

على عصيان قومه نزل عليه قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾[1] فخوف النبي على قومه كاد يهلكه. فأخبره الله أن إيمانهم أو عدم إيمانهم ليست قضيته، قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٖ﴾[2].

والداعي يعرض بضاعته ويقول ما عنده، استجاب الناس أو لم يستجيبوا، قبلوا منه أو رفضوا، كل قضيته أنه دعاهم وأدى دوره، والقلوب بيد الله يصرفها كيف يشاء.

لا تقطع الرجاء

ولا يستخفنَّك الشيطان ويوهمنَّك أنه لا فائدة من الناس؛ لأن الداعي لا ينتظر الثمرة فهي بقدر الله ولا يملك النتائج لأنها ربانية المصدر. وهناك قوم عصوا ربهم، فأمرهم الآخرون ونهوهم، فخرج من يقول لهم: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ قَالُواْ مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾[3] فهؤلاء لا حيلة معهم ولا صلاح لقلوبهم والجهد معهم ضائع. فأجاب الدعاة ﴿قَالُواْ مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾[3]، أي نفعل هذا إقامة للعذر عند الله، ولعل الله يجعل هدايتهم إثر دعوتنا لهم. المهم أن نقوم بدورنا والنتائج على الله.

---

(1) سورة: الكهف، الآية: 6.

(2) سورة: الرعد، الآية: 7.

(3) سورة: الأعراف، الآية: 164.

والمسلم الداعي لا ينقطع رجاؤه في الله مهما كانت الصعوبات. إن الطبيب عندما يجد الحالة متأخرة لا يسد باب الأمل في الشفاء أمام المريض مع أنه يعالج مرضاً عضوياً فكيف بمن يعالج مرضاً قلبياً. إن الله أمر موسى وأخاه هارون بدعوة فرعون وأرشدهم إلى طريق دعوته مع أنه سبحانه يعلم أن لا هداية له فقال: ﴿اذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[1].

أدب داعية

جمع الأستاذ عمر التلمساني ـ رحمه الله وتقبله في عداد الصالحين ـ موقف مع السادات وهو أكبر من الرئيس أنور السادات سناً. ومع ذلك لم يراع الرئيس السادات فارق السن وكان يحدثه كما يحدث شاباً صغيراً، ناهيك عن الاتهامات التي وجهها للرجل ظلماً.. فقال له الأستاذ عمر التلمساني بعدما ردّ على الاتهامات وفنّدها جميعاً: لقد أهنتني يا رجل، لو قال لي هذه الكلمات أحد غيرك لشكوته إليك. أمّا وأنت قائلها فأشكوك إلى أحكم الحاكمين وأعدل العادلين، أشكوك إلى الله.. فاهتز السادات وطلب منه أن يسحب شكواه.

الحكمة أولاً

يقول ربنا تبارك وتعالى في سورة النحل: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ

(1) سورة: طه، الآيتان: 43، 44.

رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[1].
فالداعي ليس واعظاً فقط إنما هو حكيم في العلاج قبل الوعظ، يعرف بم يبدأ وكيف يحاول، ولذلك قدمت الحكمة على الموعظة.

من بدايتك...

يقول النبي ﷺ: «**إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق**»[2] أي تمهل في تعاليمه وابدأ مع الناس من حيث بدأت أنت لا من حيث انتهيت، ولا يُعقل أن يصعد إنسان إلى قمة بناء من غير أن يمر على أول عتبة تحت أول سلمة، وطريق الأميال يبدأ بخطوة.

وبعدها يقول النبي ﷺ: «**ولن يشادّ هذا الدين أحد إلا غلبه**»[3]. فالتشدد والتعسّف لا يأتي بخير بل يجني على صاحبه أول ما يجني...!!

لقد هلك الذي يريد أن يعبر صحراء بأقصى سرعة للدابة؛ فهلكت معه في بدايات الطريق وسيهلك بعدها لا محالة.. فلا هو اجتاز الأرض ولا هو حافظ على دابته فالرفق واللين أيها

(1) سورة: النحل، الآية: 125.
(2) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (الحديث: 3/ 18)، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (الحديث: 8/ 62).
(3) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 4/422).

الداعي المسلم هما بك ولك قبل الناس.

(7) مراعاة حال المدعو

انظر حال من تحدثه.. هل هو متقبل للسماع منك أم لا؟ إن كان متقبلاً فبها ونعمت، وإلا فانتظر الوقت المناسب للحديث معه أو لزيارته لتصادف قلباً منشرحاً لكلامك.

فإن كان المدعو غير مستعد للسماع منك فأعطه شريطاً يسمعه (فيديو أو كاسيت) وحدّثه فيما سمع ورأى.

وإن كان من النوع القارئ فأحضر له بعض الكتب المفيدة وناقشه فيما قرأ، ومن الممكن تنوُّع أساليب الدعوة باختلاف أحوال المدعو.

ومن الممكن اصطحابه إلى أحد المساجد لسماع أحد الدروس من باب التجديد في الوعظ والنشاط.

ولا يكن الحديث في الدين دائماً.. وإنما يتخلله الحديث عن موضوعات عامة نتطرق من خلالها إلى القضايا الإسلامية.

(8) الصبر

والصبر قضية هامة لكل داعٍ إلى الله، يصبر على تعلّم الدعوة، ويصبر على ذات الدعوة، ويصبر على الإيذاء.

فاصبر أخي المسلم على تعلم وحفظ القرآن والحديث والسيرة. لقد صاحب سيدنا موسى عليه السلام العبد الصالح ليتعلم

منه، فقال له في أدب: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا * قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا * قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾[1]، فتعهّد له بالصبر على العلم.

الظلام أيقظه

ومواصلة الدعوة أمر مطلوب، وتركها بسبب إعراض الناس لا يجوز، وهذا الدرس تعلمه سيدنا يونس عليه السلام في بطن الحوت، عندما ترك قومه غاضباً منهم ومن عصيانهم. وعندما ابتلعه الحوت أحس بخطئه وهو في الظلمات ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2] فنجّاه الله من الغم؛ لأنه تعلم وأناب إلى ربه وعاد إلى قومه.

لأنه خير...!!

وقد يتعجب البعض من قضية الصبر على الإيذاء في مجال الدعوة إلى الله.. وسبب العجب أنه لماذا يؤذى وهو يصنع المعروف ويبذل الخير للناس ؟! والحقيقة أن الخير هو سبب الإيذاء فلو لم يكن داعياً إلى الخير لما عُودي وأوذي. والله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَٱلْعَصْرِ * إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ * إِلَّا

(1) سورة: الكهف، الآيات: 66 ـ 69.
(2) سورة: الأنبياء، الآية: 87.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾[1] فهل الإيمان وعمل الصالحات شر ؟! وهل التواصي بالحق شر ؟ ومع ذلك يأتي بعده التواصي بالصبر على الإيذاء في هذا الطريق.

إنها سنة الله في الدعوة إليه حتى يميز الخبيث من الطيب ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[2]. والصبر يذلّل تلك الصعاب ويجعل المسلم أصلب عوداً وأشد بأساً. وقال ربنا تبارك وتعالى على لسان لقمان: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[3].

يغادرها أفضل...

إن الطبيب الذي يعالج مرضاً عضوياً يصف الدواء ويكتب عدد مرات تناوله ومواعيد تناوله، وبعد ذلك يطلب من المريض العودة إليه ليرى نتيجة العلاج ويصبر الطبيب والمريض على هذا لأجل المصلحة.

(1) سورة: العصر، الآيات: 1 ـ 3.
(2) سورة: العنكبوت، الآيتان: 2، 3.
(3) سورة: لقمان، الآية: 17.

والأب يظل يصانع طفله ليأخذ العلاج ويرغّبه بشتى الطرق بالكلمة والحركة حتى يأخذ الصغير الدواء.

والناس في دعوتهم الى الله أولى وأحوج الى الصدر الرحب والنفس الطويل، ومن يفقدهما أفضل له ألا يتصدّر للدعوة الى الله حتى لا يصدر الناس عن طريقه سبحانه.

الربح يستحق الصبر عليهم

وبشرى الصابرين عالية.. يقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1]. وفي سورة الرعد تقول لهم الملائكة: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾[2] فقد ربحوا الجنة بصبرهم. وهذا ما يجعلك متحملاً لإعراض الناس عن الله فتدعوهم إليه مرة و مرتين وألف من غير كلل أو ملل. يقول ﷺ: **«لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها»**[3] وفي رواية: **«خير لك مما طلعت عليه الشمس»**. وفي رواية: **«خير لك من حمر النعم»**[4]

(9) متابعة الأخبار والأحداث

ما دام المسلم الداعي يعيش في مجتمع من الناس فلابد أن يكون مُلمّاً بما يقع فيه وما يحدث على أرضه، ويكون لديه

(1) سورة: الزمر، الآية: 10.
(2) سورة: الرعد، الآية: 24.
(3) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (الحديث: 9/ 107).
(4) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 5/ 333).

التعليق الإسلامي عليها إذا أثار أحدهم إحدى القضايا أو وجّه إليك سؤالاً فيها؛ لأنك تمثل عندهم النظرة الإسلامية في القضايا الاجتماعية.

أمن الدعوة

كان النبي ﷺ يُخرج في الغزوات من يأتيه بخبر العدو، فيرسل العيون في مهام استطلاعية أشبه ما يكون بعمل المخابرات في الوقت الحالي. ففي غزوة الأحزاب قال: «**من يأتيني بخبر القوم ولا يحدث شيئاً**»، فيذهب سيدنا حذيفة بن اليمان، وفي غزوة مؤتة في جمادى الأولى سنة 8 هـ قال عليه الصلاة والسلام: «**إن الله رفع لي الأرض حتى رأيت معتركهم**» وكان النبي يصف المعركة للصحابة، يقول: «**أخذ الراية زيد بن حارثة فأصيب ثم أخذها جعفر فقطعت يمناه ثم قطعت يسراه ثم أصيب، وأخذ الراية عبد الله بن رواحة ثم أصيب ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله يفتح الله على يديه**»[1] فمتابعة الأخبار والحوادث والتعليق عليها من وجهة النظر الإسلامية أمر هام لكل داع إلى الله يختلط بالناس طلباً للإصلاح ويعيش في المجتمع بتعاليم دينه.

(10) عدم مخالفة القول للعمل

لا يسمع الناس كلاماً يخالفه صاحبه بفعله، وقد شدد

(1) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 3/365)، وأخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (الحديث: 6/ 367).

القرآن على من يفعل هذا فقال تعالى في سورة الصف: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[1]، فهذا أمر يكرهه رب العزة كرهاً شديداً. ويقول في سورة البقرة: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[2].

وقد ضرب رب العزة مثلاً سيئاً لبني إسرائيل الذين حملوا التوراة ولم يعملوا بتعاليمها، فقال: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾[3]، فخص الحمار لجهله قيمة ما يحمله من كتب نافعة.. هكذا الذي يدعو الناس ويخالف ما يدعوهم إليه.

وقد قال سيدنا شعيب لقومه: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ﴾[4] فلا يقبل أبداً أن يأمرهم بشيء ويخالفه، ومطابقة العمل للقول الصالح سبيل الإصلاح وأهم أسباب التوفيق الإلهي.

وفي البخاري ومسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه** (أي تخرج أمعاؤه) **فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان ما لك؟ ألم تكن تأمر**

(1) سورة: الصف، الآية: 3.
(2) سورة: البقرة، الآية: 44.
(3) سورة: الجمعة، الآية: 5.
(4) سورة: هود، الآية: 88.

بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى، قد كنت آمُرُ بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه»[1].

ان مطابقة العمل للقول الصالح نوع من الصدق الذي يجعل لكلام الداعي، أثراً، ولنصحه شفاء، ولصوته صدى في قلوب الناس، بل ان حاله أبلغ من يتحدث عن الله، ونعمل رجل في ألف رجل خير من كلام الف رجل في رجل.

(11) البشاشة وطلاقة الوجه

أي أن يكون المسلم الداعي مبتسماً وهو يتحدث مع الآخرين، فكيف ينصت إلى داعٍ عابس الوجه كأنما يغلق عنهم أبواب الرحمة.. وكان رسول الله ﷺ دائم البشر بسّام المحيا.

قد ترى وجوهاً فتستريح لأصحابها من غير أن تتكلم معهم، ويزيد أن يكون الداعي إلى الله من هذا الصنف البشوش. يقول رسول الله ﷺ: «**لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق**»[2] ويقول: «**تبسمك في وجه أخيك صدقة**»[3].

---

(1) أخرجه البخاري في (الحديث: 3267)، و(الحديث: 7098)، وأخرجه مسلم في (الحديث: 7408). واللفظ له.

(2) أخرجه مسلم في (الحديث: 6633)، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 3/ 483).

(3) أخرجه الترمذي في (الحديث: 1956).

وبعض الملتزمين يظن أن العبوس واظهار تهاعيد الوجه من الجدية والالتزام وليس الأمر كذلك.. فقد تكون في القلب نار وحرقة على دين الله، ولكن هذا لا يعني التجهم لعباده.

أخلاق الأنبياء

عندما أرسلت الملكة بلقيس المنذر بن عمرو إلى سيدنا سليمان عليه السلام قالت: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾[1] فأرادت أن تعرف هل هو نبي أم ملك. فلو كان ملكاً فسيزحفون إليه لأنهم ﴿أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾[2]، فكان الواحد منهم ينطلق بالفرس، فإذا أراد إيقافه ضم قدميه على الفرس فيقف من شدة الضمّة.

فأرسلت المنذر بن عمرو وقالت له: انظر إلى وجهه فإن كان بشوشاً ضحوكاً فهو نبي وإلا فهو ملك.

فانظر أخي المسلم إلى حساسية قلب المرأة، وكيف اهتدت إلى نبوته، إن طلاقة الوجه والتبسم يحمل لقلوب الناس الكثير من المعاني التي تعمل عملها فتلين القلوب وترق ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[3].

(1) سورة: النمل، الآية: 35.
(2) سورة: النمل، الآية: 33.
(3) سورة: آل عمران، الآية: 159.

(12) الأخلاق الفاضلة

والأخلاق الفاضلة هنا هي أخلاق الإسلام: كالرحمة والكرم، وكل خلق نبيل يرضاه الله هو من الإسلام. بل الأخلاق هي الغاية من بعثة النبي ﷺ فقال: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[1].

ووصف رب العزة النبي ﷺ بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2] وقال عنه: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[3]، ويقول في سورة يونس: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾[4]، وفضل الله هو الإسلام ورحمته هي النبي ﷺ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[5].

كيف يصبح الداعي قدوة ونموذجاً يُحتذى من غير خلق طيب يجمع عليه القلوب كالنحل حول الزهر الفوّاح، والمسلم بصفة عامة أمره النبي بقوله: «**وخالق الناس بخلق حسن**» فكيف بالداعي الذي يريد كسب القلوب والأنصار لدينه.. ؟

(13) التدرج

أي يبدأ المسلم الداعي بالأهم فالمهم، يبدأ بالأساس

(1) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 10/ 192).
(2) سورة: القلم، الآية: 4.
(3) سورة: التوبة: الآية: 128.
(4) سورة: يونس، الآية: 58.
(5) سورة: الأنبياء، الآية: 107.

الذي يصلح بقية الفروع، لقد ظل رسول الله ﷺ في مكة ثلاثة عشر عاماً من أجل أن يقول قومه كلمة واحدة هي: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وحول الكعبة (360) صنماً ولم يكسر منها صنماً واحداً ولم تكسر هذه الأصنام إلا بعد (21) سنة من دعوة الإسلام عند فتح مكة سنة 8 هـ. وليس هناك ما يدعو إلى العجلة. والعقل يقتضي البدء بإحياء الأساس والجذر وستدب الحياة بعد ذلك في بقية الفروع، ولا فائدة من إحياء الفرع والجذر ميت لا حياة فيه.

دعها الآن..

فإذا وجدت من لا يصلي ويدخن السجائر فلا تحدثه عن التدخين، اتركه تماماً وحدِّثه في الصلاة وأداء الطاعات والعبادات التي يتحقق بها وصف المسلم، أو صادفت من يلبس ذهباً في أصابعه وله زوجة غير محجبة، دعك من الذهب وأعطه شريطاً عن الحجاب.

إن الوقوف عند الفروع على حساب الأصول جهد ضائع واصطدام مع قلوب لم تجد الأصول التي تعظم بها أوامر الله ونواهيه، فإذا أحب المسلم ربه وعظّمه سيقوم ببقية الفروع من تلقاء نفسه.. فهذا هو الأساس: أن يحبك ليسمع منك، وأن يحب ربه ليطلب رضاه.

فطنة هدهد

انظر إلى الهدهد عندما عرض قضية على نبي الله

سليمان عليه السلام قال: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾[1]، ولم يذكر لبسها أو شكلها أو أي عمل آخر تعمله أو محجبة أو غير محجبة وإنما قال: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[2]، وهذا هو الأساس، هذه القضية تحتاج إلى إلقاء الضوء عليها وإصلاحها وكلّ شيء من بعدها سهل ميسور.

ان الذي يتصدى للفروع على حساب الأصول اما أنه يشعر بضعفه في علاج الأساسيات، واما أنه يريد السرعة وتجاوز العراقيل، واما أنه لا يفهم قضية الدعوة وطبيعة علاج الأخطاء وتلك أمور أصلاها مُرّ.

(١٤) العقيدة أولاً...

عندما أرسل رسول الله ﷺ معاذ بن جبل داعياً إلى أمر قال له: «**أول ما تدعوهم إليه توحيد الله ﷻ فإن هم أطاعوا لذلك فأخبرهم بالصلاة، فإن هم أطاعوا لذلك فاطلب منهم الزكاة...**»[3]، وهكذا يأتي بالإيمان بالله أولاً، ثم أداء الفرائض والعبادات، وبقية التكاليف ستؤدّى عن طيب نفس لأنها عامرة بحب الله وطاعته.

إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ *

(1) سورة: النمل، الآية: 23.
(2) سورة: النمل، الآية: 24.
(3) أخرجه البخاري بلفظه في (الحديث: 7372).

وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾[1]، أي اترك النجاسات وما يلوثك، وقضيتك الأساسية: هي بناء التوحيد في القلب، والإيمان بالله وتكبيره وتعظيمه.. وهذا الأساس قد يأخذ وقتاً ولكنه مفتاح النجاح وما بعده أيسر منه.

هذا هو سبيل الدعاة وتلك هي أخلاقهم، انهم قوم ربانيون يُحيُون الأمة بكتاب الله، يطرقون القلوب ويتحملون ما وراءها من عنت ومشقة ارضاءً لله وطلباً لمثوبته.

ولن يموت داعي الله مادام الله ولن يفنى داعي الحق ما دام الحق

الحمد لله رب العالمين.

(1) سورة: المدثر، الآيات: 1 ـ 5.